أنا هو نور العالم

مكرم مشرقي

أنا هو نور العالم

مكرم مشرقي

مقدّمة

جملة قصيرة ومثيرة للجدل هي موضوع هذا الكتيب " أنا هـو نور العالم".

ربما تقف معي لتتساءل مفتكرًا في هذا السؤال عينِهِ: من هـو هذا؟ من يستطيع أن يقول عن نفسه: أنا هو نور العالم؟ نعم، أنه قول لم يجرؤ أحدٌ آخر عدا يسوع المسيح أن يقوله.

من هـو هذا؟ سؤال مهم جدًا ولا نبالغ إن قلنا أن السيّد المسيح قد قسم العالم الى قسمين: المجموعة الأولى هم الذين قبلوه كما أرادوا فوصفوه أو أسموه بما يلائم أفكارهم ومعتقداتهم، اسمع بعض ما قالوه عن المسيح:

- انّه أفضل معلّم على الإطلاق.
- هو أعظم داعية سلام وتسامح ومحبّة.
- إنّه أحد الأنبياء الأفاضل كالّذين كانوا قبله وبعده.
- هو أحد أبرز الصوفيين القدماء.
- إنه ضالٌ ومضل.
- هو ساحرٌ تعلّم السحر في مصر.

كثيرين ينتقون وصفًا من أعلى القائمة، فالأغلبية ترفض ما قيل عنه في الكتابات اليهودية التلمودية (ضال وساحر) وتختار له صفة جميلة مما

سبق.
أما المجموعة الثانية فتقبل كلام المسيح كما قاله، فهو لم يقل أنا نور في العالم، أو أنا أريكم النور فيكون بذلك مجرّد معلّم أو نبي، بل قال بكل صراحة: أنا هو نور العالم.
أنّه اعلان ذاتيّ معبرّ، غاية في القصر لكنه عظيم في معناه، فهو يقول ببساطةٍ ووضوحٍ مُذهلَين: أنا هو نور العالم، وهذا يعني أن العالم كله في ظلامٍ دامس بدونه وهو فقط الذي ينير لأنه هو نفسه النور.
تعال معي في صفحات قليلة لنتأمل هذا التعبير العجيب ونتفرّس في قائله الفريد وهو يشير الى الوضع التعيس المظلم الّذي يعيشه الإنسان في كل عصرٍ وزمان، ويظهر قدرته الفريدة على إنقاذه من أعماق البؤس الّذي سبّبته الخطيّة.

عالم مظلم

كانت أول كلمات الله: " ليكُن نور" (سفر التكوين ١: ٣) ورغم أنّه هو نفسه ساكنٌ في نور لا يُدنى منه، إلاّ أنّ خليقته الّتي أنشأها على صورته سرعان ما ابتدأت بالابتعاد عنه بعد السقوط في الخطيّة ولبثت تتخبّط في أعماق الظلمة الدامسة.

لقد غاص كلّ البشر في حمأة الخطية تاركين سُبُل الاستقامة للسلوك في مسالك الظلمة، وكلٌ منهم لا يعلم أين يمضي لأنّ الظلمة أعمت عينيه (سفر الأمثال ٢: ١٣، رسالة يوحنا الأولى ٢: ١١).

نور العالم

ثمّ كلّمهم يسوع أيضاً قائلاً: " أنا هـو نور العالـم. من يتـبعني فلا يمشي في الظلمـة بل يكون له نـور الحياة" (انجيل يوحنا ٨: ١٢).

في بداية الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا نقرأ عن حادثة المرأة التي أُمسكت ملتبسّة في خطيّة الزنى وقُدّمَت أمام المسيح، وعندما جرّبه رؤساء اليهود ليُصدر حُكمه عليها، لكي يشتكوا عليه إن كان قوله مُخالفاً لناموس موسى، تحدّاهم جميعاً بجوابٍ ليس له مثيل: " من كان منكم بلا خطيّة فليرمها أوّلاً بحجر". لقد كشف نور حضرته الإلهي حقيقة الضمائر وبكّتها، أشرق هو بنوره فظهرت ظلمة قلوبهم جليّاً ولم يجرؤ أحدٌ أن يُدين المرأة. اعترفوا بذلك أنّهم جميعاً خطاةٌ

وخرجوا واحداً فواحداً، كبيرهم قبل الصغير. انّه الكامل الوحيد الذي تحدّاهم بعدها بسؤال لا يجسر آخر أن يسأله: من منكم يُبكّتني على خطية؟ (إنجيل يوحنا ٨: ٤٦).

لقد واجههم بحقيقتهم، وهل يقدر غيره أن يقف هذه الوقفة؟ يشهد عنه الكتاب المقدّس أنه خالٍ تمامًا من الخطية فهو:

- لم يعرف خطيّة (رسالة كورنثوس الثانية ٥: ٢١).
- لم يفعل خطيّة (رسالة بطرس الأولى ٢: ٢٢).
- ليس فيه خطيّة (رسالة يوحنا الأولى ٣: ٥).

هنا أزف الوقت ليُعلن السيّد: " أنا هو نور العالم". إنّه النور في لمعانه وكماله، تارةً يخلع جمالاً وإنارةً، وطوراً يكشف ويوبّخ أعمال الظلمة. لقد عيّروه أنّه يقبل خطاة ويأكل معهم (إنجيل لوقا ١٥: ٢) وهو حقاً قد جاء ليطلب الضال حتّى يجده، ويرُدّ المفقود الّذي انقطع كل رجاءٍ من عودته.

إنّه نور العالم بكل مُعتقداته وأجناسه، وليست محبّته ونعمته وقفاً على شعبٍ دون غيره، أو دينٍ دونَ سواه. إنّه يرجو أن يتمتّع كل إنسانٍ بنوره فلا تُدركه ظلمة الخطيّة وشناعتها فيما بعد، أو كما يقول هو: " أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" (إنجيل يوحنا ١٢: ٤٦). وأيّ من جاء إليه تائباً مُعترفاً بخطاياه وقابلاً موته الكفّاري لأجله على الصليب، فقد انتقل من الظلمة إلى

نورهِ العجيب (رسالة بطرس الأولى ٢: ٩). لأنّ الله الّذي قال أن يشرق نورٌ مِن ظلمةٍ هو الّذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (رسالة كورنثوس الثانية ٤: ٦). هل تمتّعت، أيها العزيز بما كتبه الشاعر المختبر:

النور ينـوّر حياتكْ نـور المسيح العجيب
ويغسلك من ذنوبكْ يســوع بدم الصليب

ألقاب ومميّزات النور

يتفرّد المسيح بهذا الوصف الذي لا يرقى إليه سواه، فهو الوحيد الذي يحمل هذا اللّقب مُعرّفاً " النور" فنرى البشير يوحنا يقدّمه هكذا: " إنّ النور قد جاء إلى العالم" (انجيل يوحنا ٣: ١٩) ويستخدم الوحي المقدّس يوحنا نفسه ليعود فيستعرضه ككوكب الصبح المُنير.

في الحاضر هناك وِجهة ثلاثيّة لهذا النور والتي نلاحظها من خلال ألقابه التالية:

١. نور الناس (انجيل يوحنا ١: ٤) الله يعرف احتياج الإنسان، وهذا النور هو الإشراقة الإلهيّة لإعطاء الناس (كل إنسان) حياة الله.
٢. نور الأُمم (سفر أشعياء ٤٩: ٦) إنّها دعوة لكل البعيدين، ونور إعلانٍ للأمم الغارقين في الظلام، لقد فتح المسيح باب الرحمة

والخلاص لكل قبيلةٍ ولسانٍ وشعبٍ وأمّةٍ، مجداً لاسمه.

٣. نور العالم (يوحنا ٨: ١٢) إنّه النور المُقدّم للجميع، فالعالم بأسره في أمسّ الحاجة إليه، لكن من يتمتّع به هو الذي يفتح قلبه ليدخل نور المسيح إليه.

إنّ لهذا النور مميّزاته الثلاثيّة أيضاً فهو:

١. نور حقيقي (انجيل يوحنا ١: ٩) يحمل هذا اللقب في طيّاته أنّ كل نورٍ غيره أو ليس نابعاً منه هو زائفٌ، إنّه الوحيد الذي يُلقي بضوئه على كل إنسان فيظهر كل ما في داخله على حقيقته.

٢. نور عجيب (رسالة بطرس الأولى ٢: ٩ – ١٠) أمامنا نور روحي مُغيِّر، جعلنا بالإيمان به جنساً مُختاراً، كهنوتاً ملوكياً، أمّةً مقدّسةً، شعب اقتناءٍ، راحماً إيّانا رحمةً أبديّة. ما أعجبه مِن نور!

٣. نور الحياة (يوحنا ٨: ١٢) إنّه النور الوحيد الذي هو نبع الحياة الأبديّة وبالتالي فأنه يُعطي الحياة، فهل امتلكتها، قارئي الكريم؟

لوحة وعبرة

في كاتدرائية القديس بولس اللندنيّة تنتصب لوحة مهيبة للفنان هولمان هانت اسمها " نور العالم " وهي تصوّر المسيح حاملاً بيده

اليسرى مصباحاً مُضيئاً بينما يقرع بيده اليمنى على بابٍ مُغلق، وقد صوّره الفنّان يقف وقفةً رزينةً منتظراً أن يفتح أحدهم له الباب.
يلاحظ في هذه اللوحة المعبرّة أن الباب ليس له مقبضٌ من الخارج، أي انّ المقبض الوحيد هو من الداخل، وذلك يوضّح فكر الله في توجهه للإنسان.
انّه إله حي يقرع على باب قلبك وينادیك مرّة تلو المرّة لعلّك تفتح الباب فيدخل ويضئ حياتك بنوره. قد تقول: إن كان قادرًا على كل شيء فهو يستطيع أن يدخل وحده، لكن اسمع أيّها العزيز صوته الواضح يقول: " هأنذا واقفٌ على الباب وأقرع، إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشّى معه وهو معي" (رؤيا يوحنا ٣: ٢٠)
فان كنت تريد أن يدخل الرب يسوع، نور العالم، الى قلبك فعليك ان تفتح له الباب وتدعوه للدخول. فتح أحدهم باب قلبه مرنمًا:

قد فتحتُ الباب فادخل سيّدي — هاك قلبي هاك عقلي ويدي
من سواك مـات عنّي يفتدي — بالــدم اشتريـتني للأبدِ
سيدي ادخل في فؤادي داخلي — سيدي اغمرني بحبك العلي

أحبّ الناس الظلمة

يا للعجب ! كيف يمكن أن يُحبّ أحدٌ الظلمة؟ هاك الجواب: " وهذه هي الدينونة، أنّ النور قد جاء إلى العالم، وأحبّ الناس الظلمة أكثر

من النور لأنّ أعمالهم كانت شرّيرة. لأنّ كل من يعمل السيّآت يُبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلاّ تُوبّخ أعماله، وأمّا من يفعل الحق فيُقبِل إلى النور لكي تظهر أعماله أنّها بالله معمولة" (إنجيل يوحنا ٣: ١٩ –٢١). عندما نقارن بين النور والظلمة ينبغي أن نذكر أنّه كما أنّ المسيح هـو النور ويريدنا أن نأتي إلى النور، فالشيطان هـو رئيس سلطان الظلمة، ويُريد أن يبقى رعاياه غير المؤمنين في الظلمة، فيُعمي أذهانهم ليلبثوا غارقين في أعماق الخطيّة. إنّهم لا يعلمون ولا يفهمون، في الظلمةِ يتمشّون... الّذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلاّ تُضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الّذي هـو صورة الله (مزمور ٨٢: ٥، رسالة كورنثوس الثانية ٤: ٤).

أنتم نور العالم

في أيّام وجوده على الأرض قال الرب يسوع: ما دمت في العالم فأنا نور العالم. (إنجيل يوحنا ٩: ٥) أمّا الآن في فترة غيابه فقد أسبغ على كلّ مؤمنٍ به امتيازاً قلّ مثيلهُ: " أنتم نور العالم" (إنجيل متّى ٥: ١٤) وهذا الامتياز مُقدّمٌ لكلّ من يقبله ربًا ومخلّصًا، إذ كما كان هو يُنير كل شئ بنور قداسته في أيّام جسدهِ (وجوده على الأرض بالجسد)، فقد أعطانا الآن أن نكون نحنُ " نور العالم".

ما أحلى هذا التعبير الجميل الذي يظهر به المؤمن كالقمر الذي

يعكس نور الشمس طالما هو مقابلها لأنه لا ينير من ذاته. لكن، ويا للأسف فإنّ كثيرين من المؤمنين بالمسيح لا يعكسون نوره إذ لا يسلكون في القداسة العمليّة ممّا يُضعِف الشهادة المسيحيّة المُنيرة أمام الناس، وهذا الفشل في المسؤوليّة يُحزِنُ قلب الرب الّذي يريدنا أن نسلك كأنوار في الطريق الإلهي الضيّق الّذي يسطع فيه نور الرب من خلالنا دون أن يُعطّله أيّ شئ (رسالة أفسس ٥: ٨). اسمع صوته المُحِبّ يناجي: " إن كان سراجك (شهادتك المسيحيّة) مُخبّأٌ تحت المكيال فارفعهُ على المنارة ليُضئ لجميع الّذين في البيت، فليُضئ نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمُجّدوا أباكم الّذي في السموات" (إنجيل متى ٥: ١٥، ١٦).

أمشـي في النور كلّ الحياة تابعــاً ربيّ كلّ الطريق
كلّ اتّكـالي على الحبيب من يُنجّيني من كلّ ضيق

* * * *

نورٌ سماوي نـورٌ سماوي جـاء لقلــبي من العلي
هلّلــويا دومـاً أُغنّي يــا لسروري يسوع لي

أسلكوا كأولاد نور

لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأمّا الآن فنورٌ في الرب، أسلكوا كأولاد نور. لأنّ ثمر النور هو في كل صلاحٍ وبرّ وحق، مختبرين ما هو مرضيّ عند

الرب (رسالة أفسس ٥: ٨ – ١٤).
يعيش الانسان البعيد عن الله في الظلام، لكنه أيضًا هو نفسه تجسيد للظلمة، أو بكلمات أخرى أنه هو نفسه " ظلمة"، فحياته ظلام وكلّ أعماله ظلام. لكن عندما يعرف ذلك الشخص الله ويقبل المسيح في حياته فهو ليس في النور فحسب، بل يصير " نورًا في الرب" وبالتالي فهو مدعوٌ للسلوك في النور أي في مطابقةٍ للحالة التي جعلنا فيها الرب. لاحظ أنّ النور هو مركزنا أمام الله وأساس سلوكنا وسبب إثمارنا (إظهار صفات الله) في حياة الإيمان.

يظهر ثمر النور في حياتنا في ثلاثة نواحٍ:

١. **صلاح:** وهي المميزات الشخصية للمؤمن وفضائله الأخلاقية كالمحبة واللطف والطيبة والحنان.
٢. **برّ:** وهو الاستقامة التي تظهر في حياتنا اليومية ومعاملاتنا مع الآخرين من احترام ونزاهة وتقدير للآخرين.
٣. **حق:** ما يتصف به المؤمن في علاقته بالله فيكون بالكليّة في توافق وانسجام مع الله فكريًا وعمليًا.

يدعو الله أولاد النور أن يسعوا باجتهاد في حياة الايمان لكي يكون كل ما يعملوه موافقًا لفكر الرب، واكثر ما يعين في ذلك هو الصلاة

ودراسة الكتاب المقدس لتمييز ما هو لائق ومرضي عند الرب في كل نواحي الحياة.

لا تشتركوا... وبّخوا

ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبّخوها لأن الامور الحادثة منهم سرًا، ذكرها أيضًا قبيح. ولكن الكلّ إذا توبّـخ يظهر بالنور لأنّ كلّ ما أظهرَ فهو نور لذلك يقول استيقظ أيّها النائم وقُم من الأموات فيضئ لك المسيح (رسالة أفسس ٥: ٨ – ١٤).

بما أن المؤمن يعيش في عالم مظلم تميّزه أعمال الظلمة السريّة البشعة والتي ذكرها أيضًا قبيح، فيجب أن يتحذّر من الاشتراك في هذه الأعمال، أو المساومة والتساهل معها بل ويوبّخها أيضًا بإظهار النور في حياة القداسة العملية التي يحياها من جهة، وبتصحيحها بتوجيه من الله من جهة أخرى. قم بدورك في اظهار النور واكشف بنور الله الذي فيك كل ظلمة وستلمس تعامل الله وتبكيته لأولئك السالكين في الظلمة حتى تنفتح عيون بعضهم ليتبعوا النور.

أمّـا أنت!

أخي المؤمن، إن كنت لا تعكس نور المسيح الحيّ، أرجوك أن تفحص مُعطّل إشراق النور من خلالك. إن كان المعطّل هو سقوطك في

خطيّة محدّدة، فلا تماطل بل اعترِف بها بقلب صادق منكسر، لأنّه " إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهّرنا من كل إثمٍ " (رسالة يوحنا الأولى ١: ٩).

أمّا إذا كان ما يحجز انبلاج النور هو كثرة المشغوليّات، فاستيقظ أيّها النائم من غفلتك الروحية وراجع أولويّاتك أمام الرب مجتهدًا بعزم القلب أن تضعهُ أوّلاً في حياتك، وعندها ستتمتع بنور المسيح البهيّ وتظهر حياة المسيح فيك بكلّ جمالها.

ليتنا نعيد حساباتنا ونضع نصب أعيننا أن يتعظّم المسيح في حياتنا، طالبين معونة الرب في صياغتها من جديد لكي يكشِف بنوره كل ما لا يليق أن يظلّ فينا كيما نطرحه خارجاً لنستطيع أن نسلك كأولاد نور.

خاتمة

أنا هـو نور العالم هو القول الثاني في سباعيّة " أنا هو". ترد هذه السباعيّة المباركة في إنجيل يوحنا والّذي يظهر أمجاد المسيح كمن هو بالحقيقة ابن الله الوحيد، مُخلّص العالم ولتتميم الفائدة نوردها هنا في عُجالة.

١. أنا هـو خبز الحياة... للجياع... دعوة للشبع.
٢. أنا هـو نور العالم... للعميان... دعوة للإبصار.
٣. أنا هـو الباب... للهالكين... دعوة للخلاص.
٤. أنا هـو الراعي الصالح... للمفقودين... دعوة للرجوع.
٥. أنا هـو القيامة والحياة... للأموات... دعوة للحياة.
٦. أنا هـو الطريق والحق والحياة... للضالين... دعوة للهداية.
٧. أنا الكرمة الحقيقية... للأغصان الحيّة... دعوة للثبات والإثمار.

كثيرون تلامسوا مع المسيح الحيّ واختبروا قوة هذه الكلمات الصادقة، فشبعوا بعد ان صارت لهم البصيرة الروحية، نالوا الخلاص إذ رجعوا اليه واهتدوا بعد أن أخذوا الحياة الأبدية في شخص المسيح وانطلقوا ثابتين في الحق ومثمرين في شخصه المبارك. نحن نصلّي أن تراه أنت أيضا هكذا، وتقبله طعامًا حيًا، نورًا كاشفًا، بابًا للدخول وراعٍ يعتني بك. ليتك تعرفه كالطريق الأوحد والحق

الواضح والحياة الأبدية، لتحصل على الخلاص والحياة الأبديّة وتتمتّع به الى الأبد.

في تسبيح داود النبي لله قال: " يا سامع الصلاة اليك يأتي كلّ بشر" (سفر المزامير ٦٥: ٢). يمكنك ببساطة أن ترفع قلبك لله وتأتي اليه قائلاً: يا رب، أشرق بنورك في قلبي، لأعرفك وأومن بك، عرّفني طريقك لأسير تابعًا ايّاك في طريق الحياة والنور.